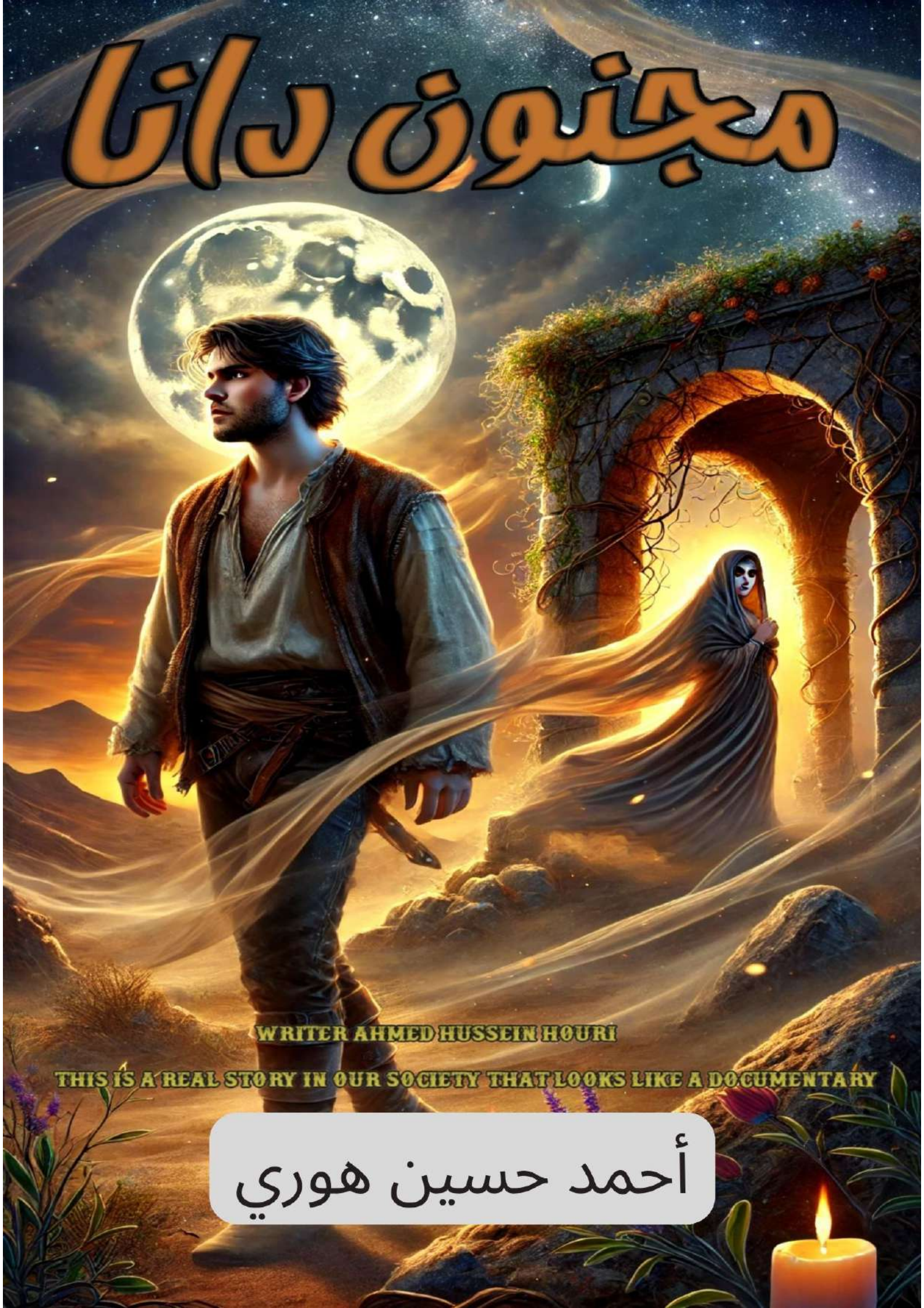
مجنون دانا
WRITER AHMED HUSSEIN HOURI
THIS IS A REAL STORY IN OUR SOCIETY THAT LOOKS LIKE A DOCUMENTARY
أحمد حسين هوري

"كان يسير بين الناس كظل بلا ملامح، يحمل على عاتقه أوزار الكلمات الجارحة والنظرات القاسية التي خلفت ندوبًا لا تُرى. تنخر روحه الوحدة كعدو صامت، بينما قلبه ينهار كل يوم أكثر تحت وطأة حبٍ من طرف واحد، حبٍ لم يزهر أبدًا سوى في مخيلته. ورغم كل هذا الألم، كان هناك جزء صغير منه يصرخ بصوت خافت: لعل في الغد نجاة، ولعل في الظلام بصيص نور."

"في لحظةٍ ما، يكتشف الإنسان أن كل شيء كان يظنه ثابتًا في حياته، قد يتلاشى في لحظة واحدة. يتبخر كل شيء أمام عينيه، ليجد نفسه وحيدًا في العتمة."

كان أحمد صديقي منذ الطفولة، أعرفه جيدًا. حينما كبرنا، كنا فقراء، لكن رغم ذلك لم يكن الفقر ليمنعنا من السعادة. كنا مقتنعين تمامًا أن الفقر، مهما كان قاسيًا، هو من اختيار الله، ولا شك أنه كان خيرًا لنا. كان بسيطًا، متواضعًا، لا يحمل في قلبه ذرة حقد، لكن العالم قرر أن يعاقبه بلا سبب. دفعوه نحو ظلام الاكتئاب، وتركوه وحيدًا في عزلته، غريبًا عن هذا العالم الذي لم يعد يرحمه.

كان يضحك دائمًا، أو هكذا يبدو. تلك الابتسامة الواهنة التي ترتسم على وجهه في كل مرة أراه، كانت تخفي خلفها ألف وجع وألم. يبتسم للغريب قبل القريب، كأنه يخفي في داخله حكايات لم يجرؤ على البوح بها.

ومن يلتقيه للمرة الأولى، يشعر وكأنه عرف الحب لأول مرة. لم يكن أحد ينساه، ولم يكن من الممكن تجاهله. كان من أولئك الأشخاص الذين يتركون أثرًا في القلب، حتى وإن لم يبقَ في حياتك طويلًا.

كبرنا بسرعة، وكأنها غمضة عين. حين كنا أطفالًا، كنا نتمنى أن نكبر، ولكن عندما تحققت أمانينا، بدأنا نتمنى لو نعود أطفالًا مرة أخرى. كنا نتوق للعب "التخبيئة" و"الشبح"، الألعاب التي كانت مشهورة في سوريا. وأتذكر عندما كانت الكهرباء تنقطع، كنا نشعل شمعة ونلتف حولها، بينما يحكي لنا الكبار القصص. كنا نستمع

إليهم وكأنها حلقات مسلسل ننتظرها بشغف، دون أن نعلم أننا سنشتاق لتلك الأيام.

ليت تلك الأيام تعود، ليتنا لم نكبر.

"كبرنا، فنسينا كيف كان الفرح في أبسط الأشياء. اليوم، نبحث عن سعادة ضاعت بين الأيام، بينما كان كل ما نحتاجه في طفولتنا هو لحظة واحدة مع الشمعة، وضحكة صادقة."

ثم جاء يومٌ تغير فيه كل شيء. كانت تلك اللحظة التي لم أكن أريدها أبدًا أن تحدث. كنت أرى أحمد يتغير أمام عيني، يتحول من شاب مرح اجتماعي إلى شخص ضائع، لا يبالي بشيء. لم أستطع فهم ما يحدث، لماذا أصبح ينام طويلاً، يدخن كثيرًا، ويهمل صحته؟ كانت ابتساماته قد اختفت، وحل مكانها نظرات شاحبة، وأيامه أصبحت ثقيلة.

حاولت الاقتراب منه مرارًا، لكنه كان يرفض الحديث، يبتسم ابتسامة مجاملة ثم يغير الموضوع. لكنني كنت أعرف أن هناك شيئًا عميقًا في قلبه، شيء لا يمكن إخفاؤه. وجدت نفسي عاجزًا، وأصبح قلبي ثقيلًا مع كل يوم يمر.

حلفت على القرآن، يا أحمد، أرجوك أن تخبرني بما بك. أرجوك. كان صوتي مختنقًا، وعيني تملأها الدموع. كنت أرى في عينيه

دمعة تلمع، وكأنها تهرب من ألمه. ثم ابتسم، ابتسامة مثقلة بالحزن، وامسح عينيه بسرعة، كما لو أنه يحاول إخفاء ما في قلبه.

قال لي بصوتٍ منخفض، عينيه ثابتتين في الأرض، "يا صديقي، إذا أخبرتك، ربما تسخر مني. لأنك لن تشعر بما أشعر. لهذا، لا أريد أن أخبر أحدًا."

رددت عليه بسرعة، "الشيء الذي يحزنك، يحزني أضعافًا. أرجوك، أخبرني." كانت كلماتنا تدور في دائرة من الألم، وأنا أراه يُحاول التهرب من الحقيقة التي تؤلمه.

أخذ نفسًا عميقًا، وكأن الكلمات تكاد تخنقه. كانت يداه ترتجفان وهو يضيف، "أعرف أنني فقير، وأنني لست وسيمًا، لكنني في النهاية بشر. لدي قلب، لدي مشاعر. أليس كذلك؟" نظرت إليه وقلت له بصمتٍ، لكن قلبي ينبض بشدة: نعم، أنت بشر، ولديك قلب، مثلنا جميعًا.

ثم، وكأنه يحاول أن يشرح عذابًا قد لا يراه أحد، قال وهو يحدق في الأرض: "لماذا الناس ليسوا مثلنا؟ لماذا يكسرون خاطرنا؟ كيف يمكنهم أن يجرحوا مشاعرنا؟ كيف يمكنهم أن يتلاعبوا بحبنا وكأننا مجرد أشياء رخيصة؟" سكتُّ، لم أستطع الرد. كان هناك صمت ثقيل بيننا، وأنا أشعر بحزن عميق يغمرني.

"لم أتوقع يومًا أنني سأحب فتاة، لكن ماذا أفعل؟ هو شعوري، ليس اختياري، ولم يكن مقصودًا. أحببتها رغم عني. لم أحبها فقط، بل أحببت البيت الذي تسكن فيه، أحببت الأشخاص الذين يحافظون عليها، أحببت المكان الذي تعيش فيه. لكنني لم أتمكن من البوح لها."

ثم توقف فجأة عن الحديث، وكان وجهه شاحبًا كأنه يحمل وزن العالم على كاهله. بعد لحظات من الصمت، قال وهو يكاد يهمس: "لا أعرف كيف عرف والدها أنني أحبها. كنت أحبها حبًا شريفًا. كنت أريد أن أكون لها، وتكون لي. لكن والدها وقف في طريقي، وهددني أنني لن أقترب منها أبدًا. لم يحزنني خوفه عليها، بل أحزنني عندما قال لي: 'أنت لست من مستواهم، أنت فقير.' تلك الكلمات كسرَت قلبي، جَرحَتني بشكل لا يمكنني وصفه."

"ربما تراها شيئًا عاديًا، لكن مهما كان، لن تشعر بما أشعر به. تمنيت أن أموت قبل أن أسمع تلك الكلمات. تمنيت لو أنني لم أكن موجودًا حتى لا أسمع ذلك السيف الذي قطعني إلى نصفين."

كان صوته يتلاشى في النهاية، وكأن الكلمات كانت ثقيلة جدًا عليه. كنت أشعر أن الألم الذي يحمله أكبر من أن يتحمله قلب واحد، وكان عاجزًا عن التعبير عن مدى حزنه. جلست إلى جانبه، وأنا أشعر أنني لا أستطيع فعل شيء سوى أن أكون بجانبه في تلك اللحظة الصعبة.

قلت له: "هل هي تعرف أنك تحبها؟"

مسح دموعه بسرعة، ثم قال بصوت مكسور: "جعلتني تلك الكلمات أبدو صغيرًا، أبدو أقل من كل شيء أمامي. أرى كل شيء في هذا العالم أفضل مني. ربما تكون كلمات صغيرة، لا تحتاج إلى مبالغة، ولكن هذه هي نظرتي لنفسي. الناس ينظرون إلى الشاب الفقير كأنه لا شيء. وكان كلام والدها صحيحًا. كيف يعطونها لشاب فقير مثلي؟"

توقف لبرهة، وكأن الكلمات تجرح لدرجة أنه لا يستطيع إكمالها، ثم أضاف بحزن: "لم أخبرها قط بأني أحبها. هي ليست مذنبة في شيء. الذنب ذنبي أنا. أنا من أحببتها. لماذا؟ لا أعرف. هناك العديد من الفتيات أجمل منها، ولكن... تلك الفتاة، لم تكن عيناي من اختارتها، بل قلبي. قلبي هو الذي أرادها."

كان صوته يرتجف، كما لو أن ثقل كلماته يكاد أن يسحقه. نظرت إليه، وكان واضحًا أن الألم يعصف به، وأنه لا يستطيع الهروب من مشاعره التي تزداد عمقًا مع كل كلمة يلفظها. في تلك اللحظة، كنت أشعر كأنني أعيش تلك المأساة معه، كما لو أنني أغرق في نفس الهاوية التي سقط فيها، ولا أستطيع أن أمد يدي له.

"لا أدري،" أضاف بصوت منخفض، "لماذا هذا الشعور؟ هل كان قلبي يحق له أن يختار؟ هل يمكنني أن أحب وأتمنى أن تكون لي... فتاة لا أستطيع أن أقدم لها شيئًا؟ كيف لي أن أواجه نفسي، كيف لي أن أواجهها؟"

ثم صمت. وتدفق الصمت حولنا كالمياه الجارية، ثقيلة، لا تسمح لأي منا بالهرب من تلك الحقيقة المؤلمة التي توغلت في أعماقنا.

لم أتمكن من فعل شيء. ضحكت بحرقة، وضممته إليّ بشدة، كما لو كنت أحتضن جزءًا مني كان قد تلاشى، كأنني أحاول أن أمحو الآلام التي أرهقته. شعرت بيده تشد على ظهري، وكأنها صرخة صامتة تخترق روحي، كأنها تقول: "أنقذني، أرجوك، أريد أن أعود إلى نفسي القديمة." كان جسده يهتز، وأنا شعرت بأن كل لحظة تمرّ بيننا تزيد من ألمه. كان يحاول العودة إلى زمن بعيد، حيث كانت الحياة أسهل، والابتسامة لا تزال تشرق على وجهه. لكن هذا الزمن كان بعيدًا، ولا يمكنه العودة إليه.

ربما لم تكن الكلمات القاسية أكثر إيلامًا من أن تحب شخصًا بكل قلبك بينما لا يبادلك نفس المشاعر. أن تحيا بين الجدران التي تبنيها

خيبات الأمل، حيث تتنقل بين اللحظات كما لو كنت محاصرًا في سجن من الصمت. لا شيء يُسمع، لا شيء يُشعر به، سوى الفراغ الذي يملأ قلبك. كل لحظة تمرّ بلا أن تُقابل مشاعرك بمشاعر مماثلة تصبح وكأنها طعنة جديدة، وكل طعنة تترك أثراً في قلبك لا يمحى.

كنت أراه يتلاشى أمامي، وكأن كل شيء يفلت من يديه، كما لو أن العالم يبتعد عنه. كانت عينيه مليئة بالعجز، وكأن الحياة أخذت منه أكثر مما يمكن أن يتحمل. كان يحاول أن يتشبث بشيء ما، لكن لا شيء كان يبقى.

ثم مسح دموعه، وأشعل سيجارة كما لو كان سجينًا محكومًا عليه بمؤبد، وقال لي بابتسامة حزينة، كئيبة: "أبدوا أحمقًا، أليس كذلك؟"

قلت له، محاولًا أن أخفي ألمي: "لا، لست كذلك، لأنك أخبرتني أنك صديقي، وأخي، وكل شيء بالنسبة لي. لا تؤذِ نفسك، فأنا أتأذى أيضًا."

مرّت علينا دقائق من الاكتئاب، كانت كأنها سنوات من عمرنا الذي مضى. لحظات الطفولة التي عشناها في سعادة، وكأنها حلم بعيد، لا يمكننا العودة إليه. كنت أشعر بما يشعر به الآن. كان من الصعب على أي شاب أن يتحمل مثل هذا الثقل، لكن أحمد كان يحمل عبئًا أكبر من أي شيء يمكن أن يتخيله أحد.

"أن تحب من لا يحبك، هو أن تسقط في هاوية لا نهاية لها، يملؤها الألم والصمت، وتبقى تسبح في ظلام من الشعور بالعجز، لا تقدر على الخروج منه. الحب من طرف واحد ليس مجرد مشاعر، إنه عذاب مستمر، يقضم الروح من الداخل."

ثم ابتسم مرة أخرى، ابتسامة يائسة، وكأنه يقول لي، دون أن ينطق بالكلمات: "أنت لا تفهم. لا أحد يفهم." كنت أعرف أن قلبه ينزف في صمت، وأعلم أنني مهما حاولت، لن أستطيع أن أملأ الفراغ الذي خلفته تلك الكلمات الجارحة التي جرحته بها الحياة.

لقد بدأ يبتعد عن الجميع، حتى عن نفسه. كان أحمد قد فقد طريقه بين الهمسات والأوجاع، وكان عاجزًا عن رؤية أي ضوء في نفقه المظلم. كأن الاكتئاب قد أصبح جزءًا منه، جزءًا لا يمكن فصله عن كيانه.

وأنا، الذي كنت أتمنى لو أستطيع أن أكون له الضوء في الظلام، كنت أشعر بالعجز، عاجزًا عن تقديم أي شيء سوى كلمات لا تساوي شيئًا أمام ما يشعر به.

لقد أحبَّ تلك الفتاة في التاسع من فبراير لعام 2021، ونحن الآن في عام 2025. وكل تلك السنوات التي مضت، لم تعرف تلك الفتاة أبدًا أن أحمد يحبها إلى هذا الحد. أحمد أحبَّها بكل صدق، رغم أنه لم يتحدث معها يومًا، ولم يسمع صوتها قط. فقط رآها، ومع تلك النظرة وقع في حبها، وهو يعلم أن مشاعره كانت صادقة.

"أحببتها دون أن أملك الشجاعة لأقول لها، لأنني كنت أخشى أن تتناثر مشاعري أمامها كأنها كلمات ضائعة في الرياح."

لم يتمكن أحمد من الاقتراب منها أو حتى التحدث إليها، لكنه تمكن من الحصول على صورة لها، وكيف حصل عليها، لا أحد يعلم. كان يحتفظ بها بحذر، وعندما يذهب للنوم، يضعها بجانبه، وعندما يستيقظ، كانت أول ما يراه. كانت تلك الصورة أغلى ما يملك في هذه الحياة، كانت بمثابة سر عميق، مصدره الوحيد قلبه. كان يعتبرها أكثر من مجرد صورة، كانت كل شيء له. صورة حاملة لعشق لم يعبر عنه بالكلمات، ولكنها كانت تخبره كل شيء. في كل مرة ينظر إليها، يشعر وكأن العالم يختصر في تلك اللحظة، وكأنها هي وحدها من يستحق قلبه، رغم المسافات التي تفصل بينهما.

"أحتفظ بهذه الصورة كما يحتفظ العاشق برسالة الحب الأخيرة، رغم أنني أعلم تمامًا أنها لن تعود أبدًا."

لسوء حظه، لم تجمعهما الظروف أبدًا، ولم تتوافق الأسباب لتقريب المسافات بينهما. الآن، هي بعيدة عنه، ورغم كل ذلك، لا يزال يحبها حبًا يفوق الفهم، حبًا لا يستطيع أحد أن يدركه، حتى أنا، الذي عرفت أحمد أكثر من أي شخص آخر.

"أحببتها دون أن أعرفها، دون أن يكون لي حق في حبها، ولكن في قلبي شعرت بأنها ملكتني. وحين خذلتني الحياة، كنت وحدي بين يديَّ، أندب قلبي المكسور."

كان يعشقها في صمت، يعيش في عالم من الأحلام المستحيلة، حيث يشعر بأن كل لحظة بعيدة عنها تزيد من الألم في قلبه. كيف يمكن لشخص أن يحب آخر دون أن يعرفه، دون أن تكون هناك فرصة ليتقابل؟ كيف يمكن أن يحمل هذا القدر من الحب الصادق ولا يستطيع أن يفعله شيئًا حياله؟ كان أحمد يعيش في هذا الحزن الصامت، في تلك الزوايا التي لا يصل إليها أحد، حيث الكلمات عجزت عن التعبير عن ما يشعر به.

"أحيانًا، تكون الأشياء التي نحبها بعيدة جدًا عنا، وكأنها قدر لا مفر منه. أحن إليها كما يحن العصفور إلى السماء، ولكنه يقف عاجزًا على الأرض."

علينا أن نحترم مشاعر الآخرين، وأن نُقدّر ما يحملونه في قلوبهم من أعباء قد لا نراها. لا تستهزئ بمن لم يكن في استطاعته اختيار شكله أو ملامحه. فكما أن أنف شخص ما قد يكون كبيرًا أو أسنانه غير متناسقة، فذلك ليس بيده، بل هو إرادة الله. فإذا أخبرنا شخص ما أنه يحبنا أو يقدر صداقتنا، يجب أن نحتفظ بتلك المشاعر بصدق واحترام، ولا نقلل منها أو نسخر منها.

لا تجرح مشاعر الآخرين بكلماتك، حتى وإن كانت نابعة عن مزاح. فالكلمات قادرة على قتل الروح قبل أن تقتل الجسد. كل كلمة قاسية يمكن أن تُحدث فجوة لا تُرى في قلب شخص ما، وتظل تشعره بالمرارة لفترة طويلة، وربما للأبد. لا تترك أبدًا كلماتك تشق طريقها إلى قلب شخص حساس وتترك هناك أثرًا مؤلمًا.

هل تعلم لماذا هناك الكثير من الأشخاص الذين يختارون العزلة؟ العزلة هي عالم لأولئك الذين ليس لديهم عالم مشترك معنا. رغم أنهم في أعماقهم يريدون أن يكونوا جزءًا من المجتمع، يريدون أن يكون لديهم أصدقاء حقيقيين، يريدون أن يكون لهم رأي مسموع واحترام. لكننا، في أغلب الأحيان، لم نعطهم الفرصة التي يستحقونها.

لقد جعلناهم يشعرون وكأنهم أقل من الآخرين، وكأنهم عبء على المجتمع. أُحبطت أحلامهم بكلمات سامة وبنظرات محطمة. هذه النظرات جعلتهم يخافون من التعبير عن أنفسهم، يخافون من

الحب، ويخافون من الانفتاح. هم في الحقيقة لا يريدون العزلة، بل كانوا يتمنون لو كانوا قادرين على أن يشاركونا أفراحهم وأحزانهم، ولو للحظة.

لكننا تركناهم في صمتهم، وأغلقنا أبواب قلوبنا أمامهم. لقد جعلناهم يظنون أنهم غير مرغوب فيهم، لكنهم فقط كانوا ينتظرون فرصة صغيرة كي يشعروا أنهم لا يزالون موجودين، أنهم مهمون، أنهم قادرون على أن يكونوا جزءًا من هذا العالم.

لقد كثُرَت الظواهر التي لا تجد لها تفسيرًا واضحًا في مجتمعنا، ومنها تعاطي الشباب للمخدرات وتدهور بعض الفتيات إلى سلوكيات مدمرة. هل تعلمون لماذا يحدث ذلك؟

سأخبركم، ولكنني لا أبرر أفعالهم، ولا أؤيدهم، ولكنني أريد أن نفتح عيوننا على الواقع، كي نواجهه معًا.

قد يظن هؤلاء الشباب أن الهروب إلى تلك الوسائل المؤلمة يوقف الألم لبعض الوقت. ولكن، في الحقيقة، ما يفعلونه ليس سوى محاولة يائسة للهروب من واقعهم المؤلم. يعتقدون أن المخدرات أو التفاهات يمكن أن تمنحهم بعض السلام النفسي، لكنهم لا يعلمون أن هذا السلام مؤقت، وهو يأتي بثمنٍ باهظ.

وماذا نفعل نحن؟ نلومهم! نلقي عليهم اللوم والانتقاد، ونحن نعلم جيدًا أنهم في أعماقهم يحملون ألمًا لا يستطيعون التعبير عنه. يجب أن نتوقف عن لومهم، ونبدأ في فهمهم. علينا أن نكون جزءًا من الحل، لا جزءًا من المشكلة.

لن ننقذهم بالحديث مرة واحدة فقط. يجب أن نعطيهم الأمل يومًا بعد يوم. يجب أن نصغي إليهم ونمنحهم الثقة التي فقدوها. يجب أن نخبرهم أننا بحاجة إليهم، وأن العالم لا يزال يمتلك مكانًا لهم. سنساعدهم على أن يعودوا إلى أنفسهم، لنستعيد الابتسامة التي اختفت من وجوههم.

"عندما يصبح الألم أكبر من أن يُحتمل، عندما يصبح الصمت أكثر ألمًا من أي كلمات، ربما فقط حينها ندرك كم نحن بحاجة إلى الحب والمساندة."

لقد حان الوقت لتوقف الانتقادات السطحية وتبدأ يد العون. لننتشِلهم من ظلماتهم قبل أن يصبح الظلام جزءًا منهم.

حتى أكون صريحًا، العزلة والاكتئاب ليسا دائمًا نتيجة للتنمر فقط. في كثير من الأحيان، وأغلبها، يكون السبب هو من الأب والأم. فهما في كثير من الأحيان لا يمنحاننا الثقة التي نحتاجها، ويقللان من شأننا أمام الآخرين، مما يترك آثارًا نفسية عميقة في القلب.

على سبيل المثال، أن تخبرك والدتك بأن ابن خالتك أفضل منك، أو أن يخبرك والدك بأنك لست قادرًا على تحمل المسؤولية، قد تبدو كلمات عابرة، لكن عقلك الباطن يحتفظ بها، شيئًا فشيئًا، تنمو كفيروس غير مرئي يصعب اكتشافه أو معالجته.

نعم، هذه الكلمات البسيطة التي قد تبدو لك عادية، هي التي تقتل جيلًا كاملاً. إنها تقتل فينا الثقة، وتزرع في قلوبنا الشك، وتجعلنا نشعر بالعجز. وفي النهاية، نجد أنفسنا عالقين في دوامة من الألم الداخلي.

أنا شخصيًا، عندما دخلت في مرحلة المراهقة، في سن الخامسة عشرة، كنت أرى نفسي ضعيفًا أمام الآخرين. كنت أضعف من شخصيتي ومن داخلي بسبب كلمات مشابهة، أو بسبب كلمات أخرى تتراكم في أعماقي وتكبر بمرور الزمن. كلمات لا يستطيع أحد أن يراها، لكنها تظل حية في النفس.

لكن بفضل الله، قررت أن أواجه نفسي، أن أتحداها. تحديت نفسي لأني لا أقبل أن أكون أقل من أي شخص آخر. أنا إنسان، كما

خلقني الله من تراب، ولم يميزني عن الآخرين. فكلنا بشر، وكل شخص خلقه الله بجمال خاص، من حيث الشكل والملامح، وله مزايا فريدة تميزه. لكن للأسف، نحن في مجتمعاتنا الصغيرة غالبًا ما نسمي هذه المزايا "عيوبًا"، فقط لأن عقولنا لا تزال صغيرة ولا تستطيع تقدير تلك الاختلافات.

نحتاج أن نفهم أننا جميعًا بشر، لا يوجد شخص أفضل من الآخر. لا ينبغي لنا أن نزرع في أنفسنا مشاعر التقليل من شأننا بسبب كلمات قد تكون عابرة في نظر من قالها، لكنها تدمر أرواحنا ببطء.

والآن دعونا نعود إلى قصة صديقي أحمد.

والد الفتاة، بكلمات قد تبدو بسيطة، لكنه هو الذي كان السبب في كسر قلبه. كلمات كان لها تأثير قاتل بالنسبة له، إذ حولته من شخص حي إلى شخص ميت، من شخص مرح إلى شخص مكتئب. قلبه بدأ يشعر بأن عليه أن ينتقم من هذا العالم، كلمات جعلته يكره الحياة، يكره نفسه، يكره كل شيء حوله.

والد الفتاة لم يقل لأحمد أنه خائف على ابنته، بل ببساطة وصفه بشخص فقير. أحمد كان يظن أن والدها قلق على ابنته، لكن الحقيقة كانت مغايرة تمامًا. كان والد الفتاة يظن أن لو كان أحمد

غنيًا، لكان أحق بالزواج منها، لكن لأنه فقير، فكان يجب أن يبتعد عنها. هذا هو المجتمع الذي نعيش فيه.

في مجتمعاتنا، إذا تقدم شاب مدمن على الكحول للفتاة، قد تجد والد الفتاة يقول: "لا تقلقي، مع الأيام سيهديه الله." ولكن إذا تقدم شاب فقير، يقول له: "ليس لك نصيب لدينا." كأن الله قادر على هداية المدمن، لكنه غير قادر على غنى الفقير.

"في هذه الحياة الفانية، من المهم أن نعيش بقلوب نقية وأفعال صادقة. الحياة أقصر مما نعتقد، ربما نراها ممتدة إلى 60 أو 70 عامًا، لكن الحقيقة هي أنها قد تنقضي في لحظة، في العشرين أو الثلاثين، ولا نملك إلا أن نتقبل الحقيقة القاسية. كما قال الشاعر: "ما كل ما يتمنى المرء يدركه... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن." فلا تظن أن العمر طويل، فهو لا يدوم، وكلنا في النهاية ذاهبون إلى هناك، إلى بيتنا الأخير في قاع الأرض.

لكن، هناك فرق عظيم بين أن تترك هذه الدنيا وأنت لم تجرح مشاعر أحد، وبين أن تذهب وأنت قد كسرت قلوبًا وألمت أرواحًا. فالأثر الذي تتركه في النفوس هو ما سيبقى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الناس أنفعهم للناس."

وفيما يتعلق بالحب، لا تقترب منه من طرف واحد، فهو ألم بطيء يقتل الروح، كما يقولون: "الحب من طرف واحد كالشمس في السماء، تشرق ولا تغني." إذا وقعنا في هذا الحب، فلا نسمح له بأن يمر علينا دون أن نكون أكثر حكمًا. لا تتردد في أن تعبر عن مشاعرك، حتى لو كنت متأكدًا من الرفض. فكما قال الإمام علي: "من لا يتجرأ على المحاولة، لا يعرف طعم النجاح."

اعلم أنه مهما كان الطريق صعبًا، فإن الإصرار هو الذي يصنع الفرق. كيف تريد أن تصل إلى من تحب إن لم تخبره؟ "ما كان لله دام واتصل." إذا أخبرته بقلب صادق، سيهيئ لك الله الأسباب ويرزقك ما تتمنى، طالما كانت نيتك طيبة، تهدف إلى مرضاة الله، ولن يخذلك أبدًا.

كما قال ابن القيم: "من أحب الله، أحب الله له.""

"لن أخبرك بأن تبتعد عن مشاعرك، أو أن تقرأ بعض الكتب لتشجيع نفسك. ما أريد أن أوصله لك هو هذا: الله لم يخلقك عبثًا، وكل لحظة في حياتك لها معنى.

إذا لم يحبك أحد في هذا العالم، فاعلم أن الله يراك، يسمعك، ويعلم كل ما في قلبك. صدقني، وأنا أكتب هذه الكلمات، ودموعي تتساقط، لأني أعرف ما تعنيه تلك اللحظات التي تختنق فيها الكلمات داخلنا، والقصص التي لا نستطيع البوح بها خوفًا من أن تجرحنا مرة أخرى. "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (الذاريات: 21).

الله يعلم أنك بحاجة لمن يهتم بك، يعلم أنك إنسانٌ يحمل في قلبه الكثير من المشاعر والأحزان. هو الذي خلقك، وهو الذي يعرفك أكثر من أي شخص آخر. ألم تسأل يومًا: لماذا يفعل الله هذا بي؟ لماذا يسحبني من هذا العالم، بعيدًا عن الوجوه الزائفة والمظاهر المضللة؟

لأنه يريد أن يعزلك عن تلك الوجوه، يريدك أن تتذكره، أن تكون في حاجة إليه، أن تتوجه إليه مباشرة دون وسيط. الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى وسيط بينه وبين عباده، هو الأقرب إليك من حبل الوريد، "إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ" (البقرة: 186).

أعلم أنك لا تستطيع أن تبوح بمشاعرك لأحد؛ ربما لأنك تخشى السخرية أو الرفض. ولكن جرب، جرب أن تستيقظ في الساعة

الرابعة فجرًا، في لحظة هدوء وسكينة، حيث لا شيء يشغلك سوى نفسك وقلبك.

لن أقول لك أن تصلي فقط، لكن أريد أن أخبرك: تحدث إلى الله، بكل ما في قلبك. هو يعلم ما فيك، ولكن يحب أن يسمعك، "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" (غافر: 60). تحدث إليه عن حزنك، عن آلامك، عن فرحك، عن كل شيء.

لا أقول أن الصلاة ليست عظيمة؛ الصلاة هي حياة، هي التي تريح القلب وتنير الدرب. هي التي تقربك من الله وتجعلك دائمًا في اتصال به، لأنك بحاجة إلى هذا الاتصال. الصلاة ليست فرضًا عبئًا، بل هي وسيلة للراحة والسكينة.

لكنني أريد أن أخبرك أن الله يسمعك في كل لحظة من حياتك: يسمعك عندما تكون في السرير، وعندما تسجد، وعندما تركض، وعندما تكون نائمًا. الله يسمعك دائمًا، لا يمل من حديثك أبدًا، بل يحب أن يسمعك. "يُحِبُّكُمْ وَيُغْفِرُ لَكُمْ" (آل عمران: 31).

إذا أخبرت والدك أنك لست بخير، فسيتعاطف معك ويستمع إليك، لكنه في النهاية قد يشعر بالتعب من تكرار الحديث، ومع الوقت، سيشعر بالملل. ولكنه مع الله مختلف، لأنه لا يمل ولا يتعب من سماعك، "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" (غافر: 60). لماذا لا تذهب إليه مباشرة، دون وسطاء؟ لماذا لا تخبره بما في قلبك؟ الله

ليس بحاجة إلى وسيط ليجيبك، هو الأقرب إليك، هو الذي يسمعك دائمًا.

اذهب، تحدث مع الله في السكون، في لحظات الليل المظلمة، وستشعر بأن الله قريب منك، يسمعك ويجيبك بما يرضيه."

"وأريدك أن تعلم أن الله لا يضع في قلبك شيئًا ليعذبك أو ليخيب ظنك به. كل ما يضعه في قلبك هو لحكمة عظيمة، حتى وإن لم تدركها في اللحظة. ولكن ثق، إذا صبرت، سيتحقق لك ما في قلبك بإذن الله، "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" (الشرح: 6).

الله لن يضيع لك شيئًا وضعه في قلبك، ولن يحرمك منه. بل سيعطيك أكثر مما تتخيل، وأضعافًا مما طلبت. إذا شعرت يومًا بالضعف، تذكر أن الله هو من أرادك أن ترفع يديك، وأنت تشعر بأنك لا تملك شيئًا. "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" (غافر: 60). الله هو الذي يرشدك لرفع يديك إليه، لأنه يريدك أن تكون ذليلًا بين يديه، معترفًا بضعفك وحاجتك.

أن تكون ذليلاً بين يدي الله ليس ضعفًا، بل هو شرف لنا. عندما ترفع يديك، أنت تعترف بأنك لا تملك شيئًا، وأن الله هو القادر على كل شيء. هذه اللحظة من الضعف هي مصدر قوتك الحقيقية، لأنها تعني أنك في أقرب لحظة لله، الذي لا يمل من سماعك، ولا يعييه شيء. "إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" (البقرة: 222).

الله لا يسخر من أحد، بل على العكس، هو رحيم بك، لطيف بك، يحبك أكثر مما تحب نفسك. "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" (غافر: 60). ليس كمثله شيء، وحاشا لله أن يوصف بما يوصف به البشر. "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ" (الشورى: 11). لا يمكن لعقل بشري أن يحيط بكمال الله، ولكنه يستحق منا التسليم التام والثقة العميقة.

الله لا يتركك أبدًا، مهما كانت الظروف. ثق بأن في كل لحظة ضعف هناك قوة من الله ستظهر، وستنقلك من حال إلى حال أفضل. "إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" (الشرح: 6). فكلما كنت في أشد لحظات ضعفك، تذكر أن الله معك، يسمعك، يجيب دعاءك، وهو دائمًا في انتظار أن تعود إليه. لا يهم كم طال الزمن، الله لا يخيب آمال عباده الصادقين."

(نعود للبداية قليلا)

"أحدهم لا يستطيع النوم من زحام أفكاره، ونحن ننام مطمئنين، كأننا نملك السلام كله."

لماذا لا يخجل نومنا منهم؟ كيف نستطيع أن نغفو بطمأنينة، بينما هناك من يمضي الليل يناجي هدوءًا لا يأتي؟ ليس الليل قاسيًا، وليست الحياة قاسية، بل نحن، قسوتنا تنعكس على من حولنا، ونتجاهل آثارها التي قد تدمر أرواحًا بالكامل.

أحمد، صديقي الذي كان ذات يوم شابًا ممتلئًا بالثقة، متألقًا بحبه لمواساة الآخرين، تغيّر كل شيء فيه بسبب كلمات قاسية أُلقيت عليه بلا رحمة. تلك الكلمات خرجت من والدة الفتاة التي أحبها بكل صدق.

"أنت لا تستحقها،" قالتها وكأنها قاضيةٌ تصدر حكمًا نهائيًا على حياته.

منذ ذلك اليوم، تغير أحمد. أصبح يرى نفسه أقل من لا شيء. دفن أحلامه وثقته تحت وطأة كلماتها. أربع سنوات مضت، ولم تندمل جراحه. أحمد لم ينسَ، ولم يتوقف عن حب تلك الفتاة التي بالكاد

يعرفها. يعرف اسمها: دانا. يعرف تاريخ ميلادها: 5 مارس 2005. يعرف أنها تدرس، لكنها تظل لغزًا في حياته. حتى صوتها لم يسمعه قط. ومع ذلك، أحبها. ليس ذنبه أن الحب استوطن قلبه، وليس لنا أن نلومه.

"كيف نلومه والله هو من زرع هذا الحب فيه؟"

الحب ليس اختيارًا، إنه شعور يتسلل إلى القلب دون استئذان، يملأ الروح ولا يغادر، حتى لو كان الحب مستحيلًا.

يقول دوستويفسكي: "إن القلب الذي يحب لا يسأل عن المنطق أو العدل."

لكن أحمد وقع فريسة كلمات قاسية لا تغادر عقله. كلمات حطّمت ثقته وأطفأت وهجه. ومع ذلك، ما زال يحمل في قلبه حبًا طاهرًا لتلك الفتاة التي تمثل له كل شيء.

"هل فكرت يومًا أن كلمة واحدة منك قد تُبني إنسانًا، أو تهدمه إلى الأبد؟"

كلمات والدة دانا لم تكن مجرد رأي عابر، بل كانت خنجرًا مزّق قلب أحمد. كيف للإنسان أن يكون بهذه القسوة؟ كيف ننسى أن مشاعر الآخرين ليست ملعبًا لأحكامنا؟

تشارلز ديكنز قال: "أشدّ الآلام هي تلك التي لا يُفصح عنها."

وهذا هو حال أحمد. حمل ألمًا لم يشاركه مع أحد. صديقي الذي كان يومًا ملجأ للآخرين، أصبح غريقًا في حزنه.

وصية أولى

إذا كان لديك صديق تراه يضحك كثيرًا وكلماته قليلة، اقترب منه، وهمس في أذنه: "ما الذي يؤلمك؟"

وإن كان من أولئك الأشخاص الذين يخفون أوجاعهم في أعماقهم، لا تنتظر منه أن يتكلم، ابحث أنت بنفسك عن ذلك الألم. لا تتركه وحده يغرق في صمته، ولا تتجاهله، فبعض الأرواح تنتظر يدًا تمتد إليها لتنقذها.

وصية ثانية

لا تثرثر بسعادتك أمام من يحمل في قلبه أوجاعًا.

لا تتحدث عن مالك أمام فقير بالكاد يجد قوت يومه.

لا تتفاخر بخطيبتك أمام شابٍ ينام على وسادة الوحدة.

ولا تذكر ماذا أكلت اليوم أمام من ينام جائعًا.

قد تبدو هذه أمورًا بسيطة، وربما تراها مبالغة. لكن صدقني، هذه التفاصيل الصغيرة قد تكون مؤذية أكثر مما تتخيل. ليس لأنك مخطئ في فرحتك أو نجاحك، بل لأنك تفتح جرحًا في قلب شخص يحاول أن ينسى، أن يتعايش، أن ينجو.

كن رحيمًا في كلماتك، لأن لسانك قد يكون سيفًا حادًا في قلوب لا تستحق المزيد من الألم.

"فكر قبل أن تنشر"

في زمن أصبحت فيه وسائل التواصل الاجتماعي جزءًا من حياتنا اليومية، نجد أنفسنا نشارك كل تفاصيل حياتنا: صور للطعام الذي نأكله، الرحلات التي نذهب إليها، حفلات الأفراح التي نعيشها. لكن السؤال الذي ينبغي أن نطرحه قبل أن نضغط زر "مشاركة" هو: "لماذا أنشر هذا؟"

قبل أن تتخذ خطوة النشر، توقف وفكر جيدًا.

ما الفائدة التي سيجنيها الآخرون مما أنشره؟

هل هذه المشاركة ستضيف قيمة حقيقية إلى حياتهم، أم أنها مجرد رغبة في التفاخر أو لفت الأنظار؟

هل فكرت في تأثير هذه الصورة أو الكلمة على شخص قد يعاني من ظروف مختلفة؟

الحقيقة أن النية التي نملكها في نشر شيء على الإنترنت قد تكون بريئة في أغلب الأحيان، لكننا نغفل عن تأثير تلك المشاركة على من يراها. هناك من يعجز عن السفر ويرى صور رحلاتك، هناك من يمر بأوقات صعبة ويرى أفراحك، وهناك من يشعر بالجوع ويرى صور طعامك. هذه الصورة أو تلك الكلمة التي تبدو بسيطة بالنسبة لك قد تكون جرحًا في قلب شخص آخر.

"لا تكن عبدًا لهذه المواقع."

نعم، وسائل التواصل الاجتماعي هي أداة للتواصل والتعبير عن الذات، لكنها قد تتحول إلى عبودية إذا لم نكن واعين للكيفية التي نستخدمها. لا تدع تلك المواقع تقودك إلى عالم من التفاخر، بل استخدمها بحذر ووعي. تذكر أن الحياة ليست دائمًا كما تظهر على الشاشات، ولا كل شيء يستحق المشاركة في كل لحظة.

"انظر للأمور من زوايا مختلفة."

لا تنظر للأمور من زاوية التفاخر فقط، بل حاول أن ترى العالم من زاوية الشخص الآخر. كيف يشعر الآخرون عندما يرون منشوراتك؟ هل ترفع معنوياتهم أم تزيد من شعورهم بالعزلة والخذلان؟ لا تكمن الحكمة في مشاركة كل شيء، بل في اختيار ما يُحدث تأثيرًا إيجابيًا على الجميع.

"الكلمة التي تظن أنها مجرد حديث عابر قد تكون زلزالًا في قلب شخص آخر."

فكر قبل أن تنشر، لأنك قد تؤذي مشاعر شخص لم تلتقِ به يومًا، أو تحطم قلبًا كان يبحث عن الأمل في مكان آخر. ضع في اعتبارك أن كل منشور هو فرصة لبث الإيجابية أو نشر السلبية. اختيارك للأول هو من يحدد تأثيرك في هذا العالم.

"التأثير الخفي لما نشارك"

في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أصبحت حياتنا مفتوحة أمام العالم، نجد أنفسنا نشارك لحظاتنا السعيدة، صور طعامنا، رحلاتنا، واحتفالاتنا. لكن هل فكرت يومًا في تأثير هذه المنشورات على من يتابعك؟ قبل أن تضغط زر "مشاركة"، توقف لحظة وفكر: "لماذا أنشر هذا؟"

ماذا عن امرأة حامل تشتهي كل شيء، وتعلم في أعماق قلبها أن زوجها، رغم حبه، لا يستطيع أن يحقق لها ما تشتهيه؟

هل فكرت في تأثير صور الطعام الفاخر التي تنشرها على قلبها؟ هي تتمنى شيئًا بسيطًا، ربما طبقًا من الطعام الذي تحبه، لكنها تواجه واقعًا قاسيًا يفرض عليها الصمت. قد تكون منشوراتك مثل شفرة تؤلم قلبها كلما رأتها. وهي ليست وحدها، فكل يوم هناك من يختبئ وراء الكاميرا ليُظهر سعادة بينما قلبه مليء بالتحديات.

ماذا عن طفل يتيم، يرى حفلات عيد ميلاد أطفالك؟

يكتفي بمشاهدتها من بعيد، وهو يتمنى لو كانت لديه فرصة ليحتفل مع أحدهم. في كل صورة لفرحة، يفتح جرحًا قديمًا في قلبه، ويشعر بفراغ كبير لا يمتلئ. هذه الحفلات التي تشاركها ليست فقط لحظات سعيدة، بل هي تذكير له بفقدان الحنان، بفقدان الأب والأم، وافتقار الأمان الذي يعيشه يوميًا. هل فكرت في ذلك قبل أن تنشر؟

ماذا عن رجل، يراك سعيدًا مع أطفالك وأنت تمضي وقتًا ثمينًا معهم؟

بينما هو يعود متأخرًا إلى منزله بعد يوم طويل من العمل، ليغسل جسده المتعب ويخلد للنوم بعد ساعاتٍ مرهقة. ثم يستيقظ ليبدأ يومًا آخر يتكرر فيه النضال من أجل لقمة العيش. قد يرى في منشوراتك سعادة في حياته التي تظل بعيدة عن قلبه. يتساءل: "هل سأتمكن يومًا من أخذ قسط من الراحة؟ هل سيكون لدي وقت لأعيش مع أطفالي كما تعيش أنت؟"

"الكلمة التي نطلقها قد تكون حبل أمل أو خنجرًا في قلب أحدهم."

قد تبدو منشوراتك لك مجرد لحظات عابرة، لكنها قد تكون بمثابة صدمة للمشاعر التي تحملها قلوب الآخرين. ربما لا تدرك أن هناك من يراقب، يرى، ويتألم في صمت. إن لم تكن منشوراتك محملة بالوعي، يمكن أن تتحول إلى أداة من الألم بدلًا من أن تكون مصدرًا للإلهام.

"فكر قبل أن تنشر، لأن كل صورة وكل كلمة يمكن أن تكون إما جسرًا للأمل أو جرحًا لا يلتئم."

اختياراتك ليست مجرد صور، بل هي أثر يبقى في قلوب الآخرين. الحياة ليست دائمًا كما تظهر في الصور، والأشياء التي نعتبرها بسيطة قد تكون مؤلمة لآخرين. اختر أن تكون مصدرًا للرحمة والوعي، لا مصدرًا للألم.

قبل أن تشارك لحظاتك، تذكر دائمًا أن هناك من يعاني في صمت. اختر أن تكون جزءًا من الحل، لا جزءًا من المشكلة. فالحياة معقدة، والألم غير مرئي، ولكن إذا كنت واعيًا بمشاعر الآخرين، ستستطيع أن تترك أثرًا طيبًا في هذا العالم.

"رحلة في عوالم النفس المظلمة"

كان لدي صديق يعالج الأمراض النفسية بطريقة فريدة، يمتلك قدرة غريبة على جعل الأشخاص يتحدثون عن معاناتهم بكل سهولة، وكأنهم يفتحون أبواب قلوبهم دون وعي. كان فضولي يدفعني للذهاب معه يومًا، لاكتشاف تلك العوالم المظلمة التي يعيشها البعض. أردت أن أرى ما يعانيه هؤلاء الأشخاص، وماذا يخبئون وراء الأبواب المغلقة.

وفي يومٍ ما، قررت أن أرافقه إلى غرفة العلاج، حيث يُحتجز الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات نفسية مؤقتة. كان المكان مليئًا بالصمت العميق، لكنه كان يحمل في جدرانه صرخات مكتومة لا يسمعها أحد سوى من يقترب منها بصدق.

داخل الغرفة، كانت الجدران تحمل كلمات تعكس أعماق الألم، كلمات ليست مجرد عبارات، بل هي قصص حياة تختصر معاناة كبيرة. كانت الكلمات على الحائط تروي أسرارًا من العزلة، والألم، والندم، والحزن الذي يعيشه هؤلاء الأشخاص. كل كلمة هناك كانت تصرخ بصوتٍ عالٍ، حتى وإن كانت مكتوبة بصمت.

أول عبارة كانت مكتوبة على الحائط:

"وتلاقت الأرواح في المنام، حلمًا جميلًا ليتنه لم ينتهي."

هذه العبارة هي صرخة من شخص يعاني من معركة داخلية، يجد في الأحلام ملاذًا هاربًا من واقعٍ قاسي، يأمل أن يبقى في هذا العالم الخيالي بعيدًا عن الحزن الذي يعيشه. هذا الشخص يفضل الهروب إلى الأحلام، حيث السلام والراحة، لكن للأسف، الواقع يلاحقه ويجبره على العودة.

ثانية عبارة كانت تقول:

"تمنيت أن أكون حيًا."

هذا النداء يعكس شعورًا عميقًا بالعجز، كأن الشخص يتمنى فقط أن يشعر بأن حياته تستحق العيش. هذه العبارة تحمل في طياتها شعورًا بالفراغ، مثل جسدٍ يواجه الحياة دون أن يشعر بحلاوتها. فهو ليس فقط يُمني نفسه بأن يكون حيًا، بل أنه يطمح لأن تكون الحياة مليئة بالمعنى، وهذا قد يكون بعيدًا عن متناوله.

ثالث عبارة كانت:

"ماذا فعلت لكي أستحق كل هذا؟"

هذا السؤال يحاكي شعورًا بالذنب والغربة، شخصٌ يعاني من شعور العزلة والتهميش. ربما هو لا يرى أنه يستحق كل هذا الألم، وكل هذه المعاناة، ولا يعرف كيف وقع في هذا الفخ الذي يصعب الخروج منه. هذا التساؤل يعكس حالة من الإنكار، وتحديًا لحياة لا تشبه ما كان يطمح إليه.

رابع عبارة كانت تقول:

"يصفوني بالمختل نفسيًا، ولا يعرفون أن المختل نفسيًا هو الشخص السليم في هذا العالم القبيح."

هنا نجد أن الشخص الذي كتب هذه العبارة يشعر بالخذلان، يعتقد أن المجتمع لا يفهمه. يرى نفسه عاقلًا وسط عالم مريض، ربما هو ببساطة يتساءل عن المعايير التي يضعها الناس لمعرفة من هو السليم ومن هو "المختل". في عينيه، المجتمع هو المريض، بينما هو شخصٌ يعاني لكنه يبقى صادقًا في مشاعره.

خامس عبارة كانت تقول:

"كان هناك فرق كبير بيني وبين أخي الكبير."

هذه العبارة تنم عن شعور بالوحدة والعزلة حتى داخل العائلة. الفجوة العاطفية التي بينه وبين أخيه تجعل القلب يعتصر ألمًا، حيث يرى نفسه في معركة لا تنتهي، بينما يبدو أن من حوله لا يلاحظون ذلك. هذا الشخص يشعر بالانفصال، وكأن كل خطوة يخطوها تزيد من المسافة بينه وبين من كان ينبغي أن يكون أقرب الناس إليه.

سادس عبارة كانت:

"أحسد أولئك الذين يموتون موتة واحدة، بينما أنا كل يوم أموت."

هنا نرى يأسًا عميقًا وتعبًا مستمرًا. الشخص الذي كتب هذه العبارة يشعر بأنه يعيش موتًا يوميًا، كما لو أن حياته تمزق قطعًا، ومع كل

يوم يمر، يموت جزءٌ منه. يعاني من الشعور بالضياع، وكأن الحياة لا تمنحه فرصة للعيش الحقيقي.

سابع عبارة كانت تقول:

"كانوا يسألونني لماذا لا أستطيع النوم؟ لم يساعدني أحد."

هذه العبارة تحمل في طياتها شعورًا عميقًا بالعزلة، كأن الشخص يتحدث إلى الفراغ. هو يعاني من الأرق، ولكن لا أحد يبالي بمعاناته. هو في حاجة ماسة للمساعدة، لكنه لا يجد يدًا تمتد له. هذه الكلمات هي صرخة في وجه عالم لا يتوقف عن الركض، متجاهلًا ألم الأشخاص الذين لا يستطيعون حتى النوم.

ثامن عبارة كانت تقول:

"كنت أحتاج ابتسامة واحدة لكي أغير رأيي."

هذه العبارة الأخيرة تعكس عمق الألم في نفس صاحبها. ابتسامة واحدة، شيء بسيط، ولكنها قد تكون القوة الوحيدة التي يحتاجها الشخص ليشعر بأن الحياة تستحق العيش. كانت تلك الابتسامة كفيلة بتغيير مسار تفكيره، لكنها لم تأتِ أبدًا. ما يعنيه هذا هو أن ما نحتاجه أحيانًا هو تواصل إنساني بسيط ليمنحنا القوة لمواصلة الحياة.

"ما بين هذه العبارات، يكمن عالم من الألم، عالم يظن صاحبه أنه لا أحد سيفهمه."

العبارات المكتوبة على الجدران ليست مجرد كلمات، بل هي صرخات غير مسموعة من أشخاص يعانون في صمت. كل كلمة هي قصة، وكل قصة تحمل وراءها عالماً من العزلة والوجع. فلنكن أكثر تعاطفًا مع من حولنا، ولنتذكر أن ما نراه من الخارج ليس دائمًا هو الحقيقة. أحيانًا، ابتسامة واحدة، أو كلمة دعم، قد تكون الفارق بين الحياة والموت في أعين من يعانون في صمت.

"قبل أن تكون مجرد مراقب، كن سندًا، لأنك قد تكون نقطة الضوء التي يحتاجها شخص ليجد طريقه."

العادات والتقاليد

العادات والتقاليد هي كالسيف ذي الحدين، تحمل في طياتها قيمة الهوية، لكنها قد تتحول إلى قيود خفية تُثقل أجنحة الأفراد وتمنعهم من التحليق. كفيروس ينساب في مجتمعاتنا، ينمو بصمت ويغزو العقول تحت شعار "هذا ما كان عليه أجدادنا".

لقد أصبح زواج أختك أو أختي، في الكثير من الأحيان، ليس اختيارًا ينبع من قلبها أو رغبتها، بل قرارًا يُفرض تحت مظلة العادات والتقاليد. تجد نفسك في مفترق طريق، مجبرًا على أن تزوجها لابن عمك، ليس لأنه الأنسب أو لأنها تريده، بل لأن هذا هو ما "يجب" أن يحدث وفقًا لما يُسمح به. هل يعقل أن تتحول حياة إنسان إلى مجرد استجابة لقاعدة بالية؟

وفي هذا السياق، نرى أن العلاقة بين الشاب والفتاة تأخذ منحنىً غير عادل في كثير من الأحيان. إذا أحب الشاب فتاة، يذهب ليطلب يدها من أهلها، وهذا يُعتبر أمرًا طبيعيًا ومشرفًا. أما إذا أحبَّت الفتاة شابًا وأرادت أن تختار شريك حياتها، تُعامل وكأنها خارجة عن المألوف، بل تُوصم بالعيب، وتُحكم عليها بمقاييس ظالمة تنتهي في بعض الأحيان إلى أقسى العقوبات.

نعم، لا غنى عن المبادئ والعادات التي تشكل هويتنا، لكن هل من العدل أن نعيش في قفصٍ من القيود التي لم تعد تنسجم مع متطلبات الحياة؟ أليس من حقنا أن نعيد النظر في ما ورثناه، أن نكسر الحواجز التي تقيدنا؟ كما يُقال: "التقاليد ليست سلاسل تُربط بها الأجيال، بل جذور تمنحنا القوة لننمو في الضوء."

يا صديقي، الحياة ليست مجرد استمرار للماضي، بل رحلة نحو المستقبل. العادات التي لا تواكب الزمن تصبح عبئًا لا معنى له. فلنتعلم أن نغربل ما ورثناه، نحافظ على ما يضيء دربنا، ونترك ما يثقل خطواتنا. فكما يُقال: "ليس عيبًا أن تكون الجذور قديمة، لكن الخطأ أن نظل أسرى ظلها دون أن نرفع أعيننا نحو السماء."

لا أُشجع على أن تتصرف الفتاة خارج إرادة أهلها أو أن تتجاوز حدود الاحترام، ولكن من حقها أن يكون لها خيار في حياتها. هذه حياتها، فلا يجب أن تُسلب منها، بل يجب أن تُمنح الفرصة لاختيار ما يناسب قلبها وعقلها. أن تُقتل الفتاة معنويًا في سن مبكرة بسبب العادات والتقاليد البالية ليس له مبرر، بل هو انتهاك لحقوقها الإنسانية.

الحرية ليست فوضى، بل هي الحق في اتخاذ قرارات واعية ومبنية على القيم والمبادئ التي لا تضر أحدًا. يجب علينا أن نسمح لها بالعيش كما تريد، بما يرضي الله ويعكس احترامنا لها كإنسان أولًا وأخيرًا. الحياة لا تُختزل في قوالب جامدة، بل هي رحلة

اختيارية، ولا يحق لأحد أن يقتل حلمها أو يفرض عليها مسارًا لا تراه مناسبًا لها.

هناك سؤال يتكرر في بعض الأحيان: لماذا تهرب الفتاة مع شاب تحبه، أو كانت قد ارتبطت به بطريقة أو بأخرى؟ قد تعتقد أن هناك دوافع غير أخلاقية وراء تصرفاتها، لكن الحقيقة قد تكون أكثر تعقيدًا من ذلك. سأخبرك السبب: لأنه، في بعض الأحيان، تشعر الفتاة بأنها في حاجة إلى شيء مفقود، شيء قد لا تجده في محيطها المعتاد. فهي تجد في هذا الشاب أكثر من مجرد علاقة، بل شعورًا بالأمان، والاهتمام، والاحتواء، وهي في الواقع تبحث عن شيء قد يكون أكثر تأثيرًا من مجرد كلمات. تجد نفسها تتأثر بالكلمات الجميلة التي تسمعها منه، كلمات لم يسمعها من قبل، كأنها تلمس أعماقها وتبعث فيها شعورًا بأنها تستحق أن تكون "أميرة".

إذا دللتَ أختك أو ابنتك بكلمات طيبة كل يوم، وأظهرتها كم هي مميزة وعزيزة عليك، فإنها ستتعود على هذا الحب، ولن يغريها أي شاب آخر بتلك الكلمات البسيطة. لأن الحب الحقيقي، والدعم العاطفي، والاهتمام المستمر لا يأتي إلا من الأشخاص الذين يحبونها حقًا. إذا جعلتها تشعر بأنك الأب والأخ الذي يملك كل الحنية، وكنت المصدر الوحيد لاهتمامها، فإنك تملأ قلبها بما تحتاجه من حب، فتكون أنت الراعي الأول الذي يحتويها ويرعاها.

أما إذا شعرت الفتاة بأنها مهملة، أو أنها تُعامل كشيء عابر، فإنها ستبحث عن شعور بالاحترام والحنان في مكان آخر، حتى وإن كان

هذا المكان يبدو غير مألوف أو بعيدًا عن المعايير الأخلاقية التي نعيشها. الفتاة التي تهرب من منزل أهلها لا تفعل ذلك بدافع من رغبة في ارتكاب أفعال خاطئة، بل لأنها تشعر بأنها محاصرة، بأنها لا تملك الحق في اتخاذ قراراتها، أو لأنها ترى في ذلك الهروب نوعًا من التحرر مما تشعر به من قيود.

لكن إذا كنت قد دللتها، وأظهرت لها حبك واحترامك لها، وجعلتها تشعر بأنك الشخص الذي يقدم لها الأمان العاطفي الذي تستحقه، فإنها لن تشعر أبدًا بأن الهروب هو الحل. ستشعر بالفخر تجاه نفسها، وتستطيع أن ترى فيك الشخص الذي يستحق أن تكون بالقرب منه. إن الفتاة لا تهرب لأن قلبها مليء بالفراغ، بل لأنها تبحث عن هذا الملء في مكان آخر، وإذا قدمت لها هذا الحب داخل المنزل، ستكون هي أول من يحاول البقاء في هذا الدفء.

المسألة ليست فقط في القيود، بل في تقديم الأمان العاطفي والرعاية التي تفتح لها الأفق وتجعلك أنت الشخص الذي تقدره. فالاهتمام والحب هما المفتاحان اللذان يعكسان الحياة التي تستحقها الفتاة، ويجعلانها تشعر بالفخر بنفسها، والاحترام المتبادل، والقدرة على اتخاذ قراراتها بثقة.

"هل تعرف معنى الوفاء؟"

يقول أحدهم: "عندما أصيب جدي بمرض الزهايمر، بدأ ينادي جدتي بأسم أمراء لم نسمعها من قبل." هناك أثر في قلبه من ماضٍ مؤلم، يشدّ الماضي بقوة، ويذكره بلحظاتٍ وعلاقاتٍ تذبل في ذاكرته، ولكن تبقى آثارها في روحِه. "إن المرض قد أخذ كل شيء إلا تلك الذكريات، تلك الأسماء التي تعكس عالمًا قديمًا كان حافلاً بالحياة والتفاصيل."

يحدث أن تختلط العقول وتُنسى التفاصيل، ولكن الأثر يبقى. يبقى في الروح. أما الوفاء، فهو أيضًا شيء لا يختفي بسهولة. "الوفاء هو أن لا تترك أحدًا في العتمة، أن تُبقي الأضواء مضاءة في قلب من يحبك. لكن ماذا عن الوفاء عندما لا تستطيع الوفاء؟" هذا هو السؤال. هذا هو المعيار.

"إن لم تكن قادرًا على الوفاء، فلا تعد أحدًا. لأن الوعود لا تُعطى إلا إذا كانت نابعة من أعماقك، إذا كانت قادرة على الصمود في وجه الزمن." الوفاء ليس مجرد كلمات تُقال، بل أفعال تُترجم، وظلٌ يبقى رغم العواصف. الوعود التي لا يستطيع الإنسان الوفاء بها تصبح كأشباحٍ تسكن قلبه وتؤلمه.

"في عالمٍ مليء بالوعود، يجب أن نكون حذرين فيما نقدم." الوفاء ليس طيفًا يمر في الهواء، بل هو شيء يُشعر به، شيء يصمد

عندما تُثقل الأيام على كاهلك. وعندما يتعذر علينا الوفاء، يجب أن نكون صرحاء، لأن في الصراحة حفاظًا على كرامة الوفاء.

"تقول الفتاة: بعد كل هذه المحبة، أدركت أن محبوبي له محبوب آخر، وأنا في ديار ليست دياري."

تلك الكلمات تخرج من أعماق قلبٍ محطم، مليء بالحزن الذي لا يوصف. "كنت أظن أن حبّي يكفي ليملأ قلبه، أنني سأكون وحدي في عالمه، لكن اكتشفت أنني كنت مجرد خيار عابر، بينما هو في قلب آخر."

إن الألم الذي شعرت به لم يكن مجرد خذلان، بل كان قسوة الحقيقة التي قوبلت بها بعد أن كانت أملًا في الحياة. "كل تلك اللحظات التي عشتها من أجله، كلها تذوب الآن أمام حقيقة قاسية: أنه ليس لي وحدي، وأن هناك من يحتل مكانًا في قلبه لم أكن أعلم بوجوده."

"ومع كل هذه المعاناة، أدركت أنني أصبحت في ديار ليست دياري، في عالم لا يخصني، بين أشخاص لا يقدرون وجودي. لقد أصبحت زائرًا في حياتي، وفي حياة من أحب." كانت هذه الحقيقة

كالصاعقة التي ضربت كل الأمل في قلبها، وتدفعها للبحث عن مكان للراحة في عالمٍ لا يعترف بها.

"لقد أدركت أخيرًا، بعد كل تلك الوعود التي عاشت في قلبي، أنني كنت أبحث عن الحب في مكان خاطئ. كنت أظن أنني سأكون السكن في قلبه، لكنه كان مجرد وهم. لا شيء يبقى سوى الفراغ، حتى أنني بدأت أشعر أن الموت هو السلام الوحيد في عالمٍ لم يعد يشبهني."

كانت كلماتها الأخيرة بمثابة وداعٍ لقلبٍ تائه في بحرٍ من الذكريات المؤلمة، حيث أدركت أن النهاية هي البداية لحياة جديدة، بعيدًا عن كل الخذلان والألم الذي عاشت فيه.

"وأحمد، صديقي العزيز، كان يتبع تلك العادات التي تحاكي طيبتنا في كل مرة كنا نذهب فيها إلى بيت ضيافة، حيث كان صاحب البيت يكرمنا بما استطاع من الضيافة. وبعدما يضع لنا كأس الماء، كان أحمد ينظر إليه بنظرةٍ قاسية، وقال له بصوتٍ خافت: 'لا أريد، شكرًا.' لكنه، رغم تلك الكلمات، أصر صاحب الضيافة على تقديمه، فتجمد أحمد في مكانه، ورفع عينيه نحوه، بعينين منهكتين من الحزن، كما لو كانت الدنيا كلها قد أطبقت عليه، ثم قال بصوتٍ منخفض، يكاد يختنق: 'لقد ذبل القلب، يا حضرة الساقي.'"

كانت تلك الكلمات أكثر من مجرد رفض ماءٍ تقدمه يد سخية، كانت صرخة كتمها قلبه طويلًا. "لقد ذبل القلب..." لم تكن مجرد عبارة، بل كانت أشبه بدمعة اختنقت في الحلق، حاول أحمد أن يخفيها وراء كلمات بسيطة، لكنه عجز عن إخفاء الألم الذي كان يعتصر قلبه. كان يشعر بأن كل شيء في حياته قد تلاشى، وأن ذلك الماء الذي عرضه عليه صاحب الضيافة، لم يكن سوى رمزية لجفاف روحه.

"لقد ذبل القلب، يا حضرة الساقي." كان هذا النداء أشبه بتوسل لشيءٍ مفقود في داخله، لشيءٍ كان يبحث عنه في عيون الناس ولكن لم يجده أبدًا. كانت تلك العبارات مليئة بألمٍ لا يمكن احتواؤه، كانت كلمات كأنها تمزقها، وتترك خلفها أثرًا عميقًا في قلبه الذي يعاني بصمت.

كانت لحظة الرفض هذه أكثر من مجرد تصرف عابر. كانت لحظة إعلان انهيار داخلي، حيث تبددت كل أحلامه، حيث أصبح حتى الماء، ذلك العنصر الأساسي للحياة، لا يكفي لملء الفراغ الذي يشعر به. في تلك اللحظة، كان قلب أحمد قد جف تمامًا، وكان ذلك الجفاف هو الحقيقة القاسية التي لم يكن يريد أحد أن يراها.

"لقد ذبل القلب، يا حضرة الساقي." كلمات تخترق الصمت، وتصل إلى أعماق النفس، كأنها تقول: "لقد ضاع كل شيء، ولم يبقَ لي سوى ذكرياتٍ تذبل وتفقد لونها، تمامًا كما ذبل قلبي."

مجنون دانا

الساعة الآن 2:27 بعد منتصف الليل، وهذه هي السطور الأخيرة التي سأكتبها في هذا الكتاب.

اخترتُ أن أُسميه "مجنون دانا". أتساءلون لماذا؟ لأن "مجنون دانا" هو صديقي أحمد.

أربع سنوات مرت منذ أن أحبها... أربع سنوات من المشاعر التي لم تُقابل بشيء. لا ذنب لها، ولكنه أحبها من النظرة الأولى، دون أن يعرف عنها شيئًا. لم يرَها إلا لمرة عابرة، لم يسمع صوتها، لم يتحدث إليها، لا يعرف سوى اسمها، وذاك الاسم صار قصيدته.

وعندما كنت أسأله: "لماذا تحبها؟"

كان يبتسم بصمت ويقول: "لا أعرف... فقط أحبها."

كان حبه لها أكبر من أن يُفهم. ومن شدة هذا الحب، كان يسهر ليلًا على سطح منزله، يُحدق في السماء، ينتظر تلك النجمة البعيدة التي أطلق عليها اسمها، "دانا"، وكأنها تجسيدٌ لها في السماء.

"ما أجمل الحب حين يكون صادقًا، وما أوجعه حين يبقى في القلب وحده!"

صديقي أحمد عاش الحب بأصدق صوره، بلا شروط، بلا قيود.
كان يرى فيها كل شيء، حتى وإن لم تكن تعلم بوجوده.

"الحب الصادق ليس أن تحصل على الحبيب، بل أن تظل تتمنى له الخير، ولو من بعيد."

وها أنا أدعو له من أعماق قلبي: "اللهم اجمع كل المُحبين في الحلال، وامنح قلوبهم السكينة."

انتهى -